سفارات الدولة البيزنطية إلى الحبشة وجنوب غرب الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن السادس دراسة من خلال المصادر الكلاسيكية

منيرة الهمشرى (*)

من المعروف أن اللجوء إلى الطرق الديبلوماسية فى التعامل بين الدول يعتبر فى أحيان غير قليلة مرحلة تسبق أى عمل عسكرى ، وتعتبر السفارات التى أرسلت من قبل الدولة البيزنطية إلى الحبشة وجنوب الجزيرة العربية فى النصف الأول من القرن السادس إحدى حلقات الصراع السياسى والاقتصادى من قبل الدولة البيزنطية والذى اتخذ شكل الديبلوماسية فى كثير من مراحله ، وذلك فى مواجهة القوة الكبرى الأخرى وهى فارس التى كانت تمثل طرفاً آخر فى التحكم فى مصير العالم القديم منذ أوائل العصر الرومانى .

والدراسة التى نحن بصددها تعالج الوضع الحساس للبحر الأحمر والتجارة الشرقية فى تلك الفترة التى أخذت فيها أكسوم وضعاً فريداً خصوصاً بعد سيطرتها على جنوب غرب الجزيرة العربية . ثم نناقش ما حدا بالأباطرة البيزنطيين فى تلك الفترة بالذات أن يبدأو تلك الخطوة الجريئة التى تتمثل فى إرسال السفارات وهل كانت تلك البعثات الديبلوماسية محاولة فعلاً لاستقطاب التجار الأحباش وإغرائهم لحثهم على الاستئثار بتجارة الحرير ، وبذلك يتغير مسار تلك التجارة التى كان يسيطر عليها الفرس أم كان الهدف منها شيئاً آخر فرضته الظروف العالمية والصراع الدائر بين بيزنطة والفرس فى تلك الفترة .

(*) الأستاذ المساعد ـ كلية الآداب ـ جامعة المنوفية .

ولإلقاء نظرة سريعة على تجارة البحر الأحمر ومدى أهميتها منذ العصر الهللينستى ، وحتى الفترة المتأخرة من تاريخ الإمبراطورية الرومانية وبخاصة فى ذلك الوقت الذى أرسلت فيه تلك السفارات التى نحن بصدد الحديث عنها ، نقول أنه من المعروف أن البحر الأحمر كان من المحاور الرئيسية للتجارة العالمية منذ العصور القديمة ومع بداية العصر الهللينستى زادت قيمته فى مجال التجارة العالمية كخط تجارى إلى جانب خطوط التجارة البرية ، والتى كانت مراكزها بين أيدى عرب جنوب الجزيرة العربية والعرب الأنباط (١) ، إتخذت الخط التجارى البحرى فى البحر الأحمر .

وقد حرص حكام مصر البطالمة على تأمين تلك التجارة حيث ازدادت أهمية هذا الطريق بعد معرفة الاستفادة من الرياح الموسمية حتى غدا البحر الأحمر من أهم طرق التجارة فى العالم القديم خلال عصر الإمبراطورية الرومانية بعد ذلك (٢) .

وكما نعلم أنه فى العصر الرومانى ازداد اهتمام الرومان بالبحر الأحمر منذ دخولهم مصر حيث كان الهدف من حملة جالوس على جنوب الجزيرة العربية عام ٢٤ ق.م ليس فقط الاستيلاء على ثروة الإقليم ، ولكن مراقبة المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، وأيضاً مراقبة الطريق البرى الذى يسير إلى الجرهاء فى شرق الجزيرة العربية خلال وسطها ، لذلك أسسوا لهم نفوذاً على طول الشاطىء الشرقى له وقاموا بتأكيد سيادتهم بين القبائل هناك ، ومن ناحية أخرى تم مراقبة الطرق البرية من ليوكى كومى (الحوراء) وأيلة إلى البتراء وغزة مثل طريق وسط الجزيرة العربية إلى الجرهاء تماما .

كما أخبرنا استرابون أنه فى أيامه (عاش بين ٦٤/٦٣ ق.م. و٢١ م. على الاقل) كانت التجارة الآتية خلال البحر الأحمر إلى مصر من الهند والجزيرة العربية وإثيوبيا تحمل إلى النيل حيث كان هناك طريق ممتد من البحر الأحمر إلى النيل مزوداً بالمياه [٣] . ويبدو أن هذا الطريق كان ذا نشاط كبير منذ عصر البطالمة وقد ذكره بلينى عند ذكره الطريق إلى الهند [٤] ، وظهر هذا الزخم الذى أتى للتجارة الرومانية واضحاً فى كثير من الكتابات القديمة [٥] .

وتلخص الكتابات الحديثة تلك الطرق بأن التجار كانوا يسلكون طريقين فى البحر الأحمر ، أحدهما يمتد من الإسكندرية فى النيل ، ثم يعبر الصحراء إلى أحد الموانىء فيه على الشاطىء الغربى ومنه يسلك البحر الأحمر حتى أدوليس ثم إلى أكسوم عاصمة الحبشة فى الداخل إذا دعت الضرورة . وكان الطريق الآخر يبدأ من أيلة ، ويمتد على طول الشاطىء العربى وكانت السفن ترسو فى الليل عند أحد المراسى الطبيعية على ذلك الشاطىء خوفاً من مضاحله ، وقد يكون المقصد أحد موانىء حمير ، وكان هناك تجار يونان فى سوقطرة (سقطرى) ولكن لا ريب أن أدوليس كانت عندئذ أهم مراكز للتبادل التجارى بين الإمبراطورية الرومانية وبلاد المحيط الهندى (٦) .

وإذا ألقينا نظرة على العالم الشرقى فى بداية عصر الإمبراطورية الرومانية الشرقية نجد أن القسطنطينية قد أصبحت عاصمة للإمبراطورية بدلاً من روما فى عام ٣٣٠ م ، وفى فارس حلّت الأسرة الساسانية محل البارثيين حوالى عام ٢٢٥ م وشجعت الملاحة الفارسية وأسس أول ملوكها أردشير الأول (٢٢٥- ٢٤١) عدة موانىء بحرية ونهرية وعقد نرسى (٢٩٢ - ٣٠٣)صلات مع ملك شعب

الزنج فى شرق الصومال ، وازداد الصراع بين الإمبراطوريتين العظيمتين علاوة على ما كان بينهما من صراع دينى ، وفى جنوب البحر الأحمر كان الحميريون الذين جمعوا سبأ وغيرها فى دولة واحدة ، وعلى الجانب الآخر كانت مملكة أكسوم الحبشية تزداد قوة وكان نشاط أكسوم التجارى يشمل البحر الأحمر والمحيط الهندى عن طريق أدوليس حيث كانت سفنها تنقل العاج إلى الهند وفارس وحمير وبيزنطة وتقل المصادر خلال الفترة من القرن الثالث إلى الخامس حول تجارة البحر الأحمر (٧) ولكن رغم عدم وجود معلومات عن الجزء الشمالى من البحر الأحمر وخليج العقبة خلال تلك الفترة (٨) ، نجد أن المصادر تذكر عن تجار سبئيين فى سيلان عام ٤١٤ م .

بدأت اسواق البخور فى الانهيار منذ بداية القرن الرابع وكان انتشار المسيحية من أكثر أسباب هذا الانهيار حيث منع استخدام البخور فى الطقوس الدينية فى الكنائس ، حتى إذا كانت نهاية القرن الرابع منع الإمبراطور ثيودوسيوس (٣٧٩ - ٣٩٥) إقامة الطقوس الوثنية بما فيها استخدام البخور .

كانت هناك أيضا أزمة داخلية وتضخم شديد قد بدأ يشل الاقتصاد البيزنطى وأدى النزاع الداخلى فى الإمبراطورية إلى عدم الأمان ليس فقط على طول طريق البخور ، ولكن أيضا فى جنوب الجزيرة العربية نفسها ، ومن المشكوك فيه استمرار التجارة البرية فى العطور خلال القرن الرابع ، بينما استمرت التجارة البحرية لكن بدرجة أقل وكانت سيلان تمثل مركز التجارة بين الصين والشرق الأدنى فى تلك الأوقات ، وإذا كانت السفن الصينية تسير غرباً حتى سيلان فإن التجارة فيما بين سيلان والمناطق الواقعة غربها كان يتولى أمرها الفرس والأحباش (٩) .

وظلت تجارة الشرق تعتمد على البحر الأحمر كأحد الطرق الرئيسية التى تتجنب بها الإمبراطورية البيزنطية الخطر الفارسى ، وكان هو والطريق الشمالى الأقصى الذى يمتد حتى البحر المتوسط ، ويعتمد على الاستقرار النسبى بين أمم تلك المناطق ، كانا هما الطريقين اللذين يتجنبان المرور بأرض فارس - حيث كانت تفرض فى ذلك الطريق رسوماً جمركية عالية على التجارة - وحتى هذا الطريق كان منطقة تهديد مستمر لتجارة الامبراطورية الرومانية الشرقية ، حيث كان يتم قطعه نهائياً عند الحروب .

كانت جميع سلع الإمبراطورية تنقل بواسطة هذين الطريقين فيما عدا تجارة الحرير التى ظلت تسير براً خلال فارس إلى محطتى التجارة للإمبراطورية وهما نصبين ودورا ، ومن هناك ينقل بدوره إلى المصانع فى صور وبيروت على أن بعضه كان يحمل مع غيره من سلع الهند بالطريق البحرى . ثم يأتى القرن السادس الميلادى الذى يعتبر أكثر عهود تجارة الشرق ازدهاراً ، حيث بدأ الانتعاش منذ عهد أناستاسيوس (٤٩١ - ٥١٨) والسنوات الأولى من حكم أسرة جستنيان (١٠)

وقد توفر لدينا كثير من المعلومات حول تجارة البحر الأحمر فى النصف الأول من هذا القرن وهى الفترة التى نظمت فيها المكوس من قبل الإمبراطورية البيزنطية ، حيث نجد كتابات كل من الجغرافى كوزماس (Cosmas In-dicopleustes) الذى كتب حوالى عام ٥٤٧ عن البحر الأحمر مستعيناً بمعلوماته الشخصية إذ كان قد زار أدوليس تاجراً فى شبابه وأنطونيوس (Antonius Mar-tyr ٤٩١-٥٧٨) الذى امتدت كتاباته John Malalas) ، وجون مالالاس إلى أوائل عصر جستنيان (٥٢٥ - ٥٦٥) وثيوفانس (Theophanes) الذى

يرجع تاريخه للفترة من (٥٦٦ - ٥٨١) وبروكوبيوس مؤرخ عصر جستنيان * أيضا فيلوستورجيوس Philostorgius (٣٧٨ - ٤٢٥) وننوسوسNonnosus سفير جستنيان إلى الحبشة وجنوب الجزيرة العربية . وقد نقل عن الإثنين الأخيرين فوتيوس Photius الذى تولى منصب بطريرك القسطنطينية فى الفترة من (٨٥٨ - ٨٦٧) ومن (٨٧٨- ٨٨٦) .

ومن خلال كتابات كل هؤلاء نستطيع أن نخرج بصورة واضحة عما كان عليه النشاط التجارى فى البحر الأحمر وكذلك عن القوى السياسية التى أحاطت به ومدى علاقة الإمبراطورية البيزنطية بكل هؤلاء من خلال دراستنا للنصوص التى كتبت عن السفارات موضع الدراسة . حيث يبدو أن الإنتعاش فى تجارة البحر الأحمر ووجود قوى متحكمة فيه وهى الموجودة على كل من شاطئيه الشرقى والغربى ثم احتياج بيزنطة للقوى الموجودة فى داخل الجزيرة العربية لدرء أى خطر فارسى هو الذى حدا بالدولة البيزنطية لإرسال تلك السفارات ، سواء إلى أكسوم أو جنوب غرب الجزيرة العربية أو إلى قواد القبائل العربية فى وسط الجزيرة .

وتبدو صورة هذا الإنتعاش الإقتصادى فى المصادر القديمة حيث يذكر كوزماس (١١) الذى كتب عام ٥٤٧ أنه " على شاطىء إثيوبيا ، على بعد ميلين من الشاطىء هناك مدينة تدعى أدوليس Adoules ، حيث توجد ميناء للأكسوميين ويؤمها عدد من التجار الآتين من الإسكندرية ومن خليج إيلات " ، ويشير كوزماس وبروكوبيوس (١٢) إلى وجود ملاحين من أدوليس فى موانى سيلان ولعل سفن الحبشة هى التى كانت تنقل العاج الذى يذكر كوزماس أنها كانت تصدره إلى الهند وفارس وحمير والإمبراطورية الرومانية .

ولقد كانت سيلان مركز التجارة البحرية بين الصين والشرق الأدنى وكانت سفن الصينيين كذلك سفن شعوب الشرق الأقصى تسير غرباً حتى سيلان حيث كانت التجارة بينها وبين المناطق الواقعة غربها فى أيدى التجار الفرس والأكسوميين ، وكانت السفن التجارية اليونانية تسير حتى أدوليس أو تتجاوزها حتى باب المندب (١٣).

كذلك كتب بروكوبيوس (١٤) عن البحر الأحمر واصفاً إياه بعد خروجه من خليج العقبة بالبحر المفتوح الذى يضطر فيه البحارة إلى الرسو على الجانب الأيسر عندما يحل عليهم الليل حيث الموانىء الطبيعية . ويذكر أنطونيوس مارتير (١٥) حوالى عام ٥٧٠ م أن أيله والقلزم كانتا نهاية المطاف للسفن القادمة من الهند . أما ننوسوس Nonnosus ومالالاس John Malallas ويذكر بروكوبيوس Procopius أيضا أن الأدوليس كانت أهم مراكز للتبادل التجارى فى الإمبراطورية البيزنطية (١٦).

كان الإتصال المباشر بين الدولة البيزنطية والهند عن طريق البحر الأحمر سبباً مهماً لأن تؤمن الدولة البيزنطية طرقها البحرية وتجارتها فى هذا الشريان الحيوى، ويبدو أن هذه السفارات التى سوف نتحدث عنها كانت جزءاً من سياستها لتأمين نقل التجارة فى البحر الأحمر فنجد أن جستنيان (٥٢٧-٥٦٥) أقام حامية عسكرية فى أيلة حيث يجرى نقل التجارة براً إلى البحر المتوسط عن طريق فلسطين وسوريا . كذلك أمن الميناء الآخر (القلزم) الذى يقع فى أقصى الشمال الغربى من شاطىء البحر الأحمر ، والذى يجرى فيه الإتصال أيضا بالبحر المتوسط ، وأقام جستنيان نقطة للمكوس فى جزيرة تقع فى مدخل خليج العقبة

وهى جزيرة Iotabe (تيران) حيث تجرى جباية المكوس على السفن التى تجتازها والمتجهة إلى كل من أيله والقلزم ، وترتب على ذلك أن تحتم على جستنيان أن يقيم علاقات وثيقة مع الأحباش المسيحيين (١٧).

كان هناك صراع دائر فى تلك الفترة بين القوتين الكبيرتين وكانت الجزيرة العربية إحدى محطاته بما تمثله من أهمية إقتصادية وكذلك أهمية سياسية تتجسد فى كونها تضم أهم طرق التجارة الرئيسية بين الشرق والغرب طوال العصور القديمة والعصور الوسطى (١٨) ، ولم يكن غريباً أن توجه بيزنطة سفاراتها إلى الحبشة .

لم تكن سفارات القرن السادس إلى الحبشة واليمن بالشيء الجديد على الديبلوماسية البيزنطية فى تلك المنطقة فنحن نعلم أنه منذ القرن الرابع تمتعت الحبشة بأقصى ما يكون من القوة والمنعة ووصل الشعب إلى أقصى ما يدرك من الإنتعاش ، حيث كانت أكسوم هى المركز الرئيسى للتجارة فى هذا الجزء من العالم وقصدها التجار من جميع الأجناس ليرتادوا أسواقها العامرة بالتجارة إلى حد التخمة وكانت أدوليس بالنسبة للحبشة مثل ما كانت عليه الإسكندرية بالنسبة لمصر ، حيث وجدت نقوش عشر عليها مكتوبة بالحبشية والاغريقية والسبئية تدل على تنوع الأجناس فيها (١٩) ، وهو أمر يشير بشكل واضح إلى نشاط التبادل التجارى بها .

تحدثنا المصادر عن بعثة إرسلها الإمبراطور قنسطنطيوس (٣٣٧-٣٦١) فى عام ٣٥٦ م حيث يذكر Photius (٨٥٧ - ٨٨٦) نقلا عن Philostorgius(٢٠) (٣٦٨ - ٤٢٥) أرسل قنسطنطيوس سفراء إلى هؤلاء

الذين كانوا يسمون سبئيين ولكن يعرفون الآن باسم الحميريين والتى تسمى أراضيهم باليونانية (العربية السعيدة) وهى التى تمتد على مساحة كبيرة منها على المحيط وعاصمتهم سبأ وهى المدينة التى ذهبت منها ملكة سبأ إلى سليمان وهم يقدمون القرابين لآلهتهم المحلية ، الشمس والقمر ، أرسل لهم قنسطنطيوس بعثه ليقنعهم فى الدخول فى العقيدة المسيحية " .

ولكن نجد فى السفارة تلميحاً للمحافظة على التجارة البيزنطية علاوة على التبشير بالمسيحية حيث يذكر Philostorgius :

" ان ثيوفيلوس (الراهب) طلب منهم السماح ببناء كنيسة لأجل البيزنطيين الذين يأتون إلى هناك عن طريق البحر وللمقيمين فى البلد الذين يعتنقون المسيحية ، وقد نجح ثيوفيلوس فى أن يقنع حاكمهم باعتناق المسيحية وإقامة ثلاث كنائس واحدة فى ظفار والثانية فى السوق حيث يتجمع الرومان (البيزنطيون) مقابل البحر فى عدن حيث إقامة الرومان ، وقد أقيمت ثالثة فى (السوق الخاصة بالفرس) " .

واضح من النصوص أن بناء الكنائس كان فى أماكن تجمع التجار حيث يذكر الكاتب أن الكنائس الثلاثة كانت فى الأسواق لخدمة التجار والمقيمين الرومان وذلك لتشجيعهم كمسيحيين على استمرار نشاطهم التجارى فى جنوب الجزيرة العربية ، ورغم أن التبشير بالمسيحية هو الظاهر من تلك البعثة إلا أننا نستشف من المصادر أن هناك غرضاً آخر هو تأمين تجارة الإمبراطورية *. وهو أمر يصبح وارداً بل محتملاً مع اعتناق حاكم أكسوم لنفس عقيدة الإمبراطورية البيزنطية واستجابته لإقامة ثلاث كنائس فى ثلاثة أماكن من بينها السوق الخاصة بالفرس.

ولا يستبعد أحد المؤرخين المحدثين[٢١] . أن يكون ثيوفيلوس قد حمل إلى جانب مهمته التبشيرية مهمة أخرى تتعلق بالتفاوض مع ملكى أكسوم وحمير لضمان حسن معاملتهم للتجار الرومان الذين يعبرون بتجارتهم عن طريق اليمن والعمل معاً لمجابهة السيادة التجارية البحرية للفرس فيما وراء هذه المنطقة باتجاه الشرق * .

ومن هنا نرجح أن البعثات التبشيرية لم يكن الهدف منها فقط نشر الدين ولكن حماية التجار والتجارة البيزنطية التى تمر فى جنوب الجزيرة العربية حيث تشير تلك المصادر إلى تعرض جماعات من التجار العابرين للقتل ضمن حملة اضطهاد المسيحيين فى ظفار ونجران فى عهد ذى نواس الحميرى [٢٢] ، ومن الممكن أن يكون ذلك هو ما حدا ببيزنطة إلى إرسال السفارة الأولى .

ومن المحتمل أنه كانت هناك عدة سفارات قد أرسلت من قبل الدولة البيزنطية فى تلك الفترة (النصف الأول من القرن السادس) ، ولكن الذى بين أيدينا سفارتان ، يبدو أن الأولى قد أرسلت فيما بين عامى ٥٢٥ - ٥٢٧ وكتب عنها Theophanes و Cosmas وJohn Malalas أما الأخرى فكانت لاحقة عليها وذكرت عند Photius ، وهناك من المصادر ما خلط بين السفارتين كما سنرى فى دراستنا لنصوص بروكوبيوس .

يذكر Theophanes [٢٣] (٥٦٦-٥٨١) " أنه فى عام ٥٢٧ نقض الرومان والفرس معاهدة السلام وتجددت الحروب الفارسية ..... أرسل الرومان السفير (جوليان) * من الإسكندرية راكباً النيل ، ثم خلال البحر الأحمر مع خطاب سرى مبحراً إلى Arethas " الملك Kaleb " ** ملك أثيوبيا ، استقبله

الملك بحفاوة شديدة ، حيث كانت هناك صداقة تربط Arethas بالإمبراطور الرومانى منذ فترة طويلة ..... * عندما قرأ (الملك) الرسالة وجد أنها كانت طلباً بتسليح نفسه ضد الملك الفارسى لتخريب الإقليم الفارسى القريب منه، الأكثر من ذلك فان الخطاب اتخذ الترتيبات بأن ترتبط أرض الحميريين بالعمل (بالتجارة) مع الإسكندرية المصرية عن طريق النيل وذلك بتسيير التجارة إلى البحر الاحمر وذلك لتهديد الساسانيين. وبالنظر فى السفارة بدأ الملك Arethas مباشرة فى الحشد وبدأ الحرب بالتحرك ضد الفرس ، وأرسل للعرب الذين عملوا تحت قيادته ، وأيضا ذهب بنفسه ضد الإقليم الفارسى وهزم كل الذين كانوا فى تلك المناطق. وبعد أن هزمهم أعطى الملك Arethas جوليان قبلة النصر على رأسه (وبشر الملك Arethas جوليان بالنصر) وأرسله مع حاشية كبيرة وحمّله بالهدايا " .

نلاحظ أن السفارة لم يكتب فيها اسم الإمبراطور الذى أرسلت فى عهده ولكنه ذكر (ρομαίοι) كذلك نلاحظ أن السفارة أرسلت بعد تجدد الحروب بين فارس وبيزنطة لذلك من الممكن أن تكون السفارة لأجل احتواء بيزنطة لحلفائها من ناحية ولفت أنظار الفرس من ناحية أخرى .

السفارة الأخرى هى التى أرسلها الإمبراطور جستنيان وهى التى أرسل فيها سفيره الذى كتب بنفسه عن السفارة [٢٤] والتى فقدت ولكنها حفظت فى كتابات Photius الذى تولى منصب البطريركية فى القسطنطينية ما بين (٨٥٨ -٨٦٧) وما بين (٨٧٨-٨٨٦)[٢٥] .

يذكر Photius :

« هذا الملخص من السيرة المفقوده لننوسوس ، أحد الأفراد من أسرة خدمت الإمبراطورية الرومانية (البيزنطية) كسفراء لشعوب البحر الأحمر خلال ثلاثة أجيال حيث قدموا نظرة صائبة فى السياسة المعقدة وكانت فكرتهم واضحة وذلك لامتداد المعرفة الرومانية لأكسوم * خلال عصر جستنيان ».

يذكر فوتيوس أيضا « نقرأ فى تاريخ ننوسوس الذى يحتوى على سفارته عام ٥٣٠م إلى الأثيوبيين والحميريين وعرب الخيام ، كان (قيس) قائد العرب هذا حفيداً (Arethas) وهو القائد الذى أرسل له ننوسوس الجد كسفير خلال حكم أناستاسيوس (٤٩١-٥١٨) لعقد معاهدة سلام ، ثم أرسل Abrames ابن ننوسوس فى سفارة لنفس المهمة (عقد سلام) مع المنذر قائد اللخميين " أحد القبائل فى شمال غرب العربية بالحيرة " وهو قائد عرب الخيام خلال حكم جستين (٥١٨ - ٥٢٧) وقد نجح فى تدبير إطلاق سراح (Timostratus) و (John) القائدين الرومانيين اللذين أسرا فى الحرب ، قيس هذا الذى أرسل له ننوسوس (الحفيد) كان قائدا لاثنتين من القبائل العربية المشهورة (الكنديين) و (المعديين) وقبل أن يختار ننوسوس سفيراً كان جستنيان قد أرسل أباه (Abrames) إلى نفس قيس هذا وعقد (معه) معاهدة سلام شريطة أن يؤخذ Mavias (معاوية) بن قيس كرهينة فى بيزنطة بعد ذلك عهد ننوسوس ثلاث مهمات (مهمة ثلاثية) .

- إلى قيس ليحثه على زيارة القسطنطينية .
- إلى Elesbaas (Kaleb) ملك الأكسوميين .
- إلى حمير ...."

ويشرح Photius بعد ذلك واصفاً أكسوم والمخاطر التى مرت بننوسوس، ولكنه استطاع إكمال مهمته بنجاح وعاد سالماً إلى وطنه .

يذكر فوتيوس " أن ننوسوس ذكر أن قيس ، بعد أن أرسل اليه Abrames (والد ننوسوس) للمرة الثانية ، شرع فى الذهاب إلى بيزنطة ، وقبل ذلك قسم رئاسة قبيلته بين (أخويه) Ambrus (عمرو) و Yazid ، لقد أخذ عدداً كبيراً من حاشيته معه، وقد عينه الإمبراطور حاكماً إدارياً (فيلارخوس؟) على فلسطين ".

واضح من نص فوتيوس المنقول عن ننوسوس أن به الطابع العام للسفارات وهى الإبهام التام فى المعلومات خصوصاً ذكره " إلى حمير " وعدم ذكر اسم الحاكم .

وعبارة للمرة الثانية عند الحديث عن إرسال Abrames (أبوننوسوس) إلى قيس تعنى أنه قد أرسلت عدة سفارات للقائد العربى هذا قبل سفارة ننوسوس لذلك كان يحثه على الذهاب إلى بيزنطة .

وواضح من حديث فوتيوس أنه تعددت الأغراض من زيارة ننوسوس إلى الحبشة وحمير ووسط الجزيرة (نجد).

كاتب آخر ذكر عن أحد تلك السفارات هو كوزماس (Cosmas Indicopleustes)[٢٦] الذى كتب حوالى عام ٥٤٧ .

يذكر " عندما كنت فى هذا الجزء من القطر " يبدو أدوليس " منذ خمسة وعشرين عاماً مضت أكثر أو أقل ، فى بداية حكم الامبراطور جستين (٥١٨-٥٢٧) فإن Elesbaan الذى كان ملكاً للأكسوميين أعد الحملة ضد الحميريين على الجانب الآخر من الخليج ".

حديث كوزماس لا يدع مجالاً للشك فى أن الحملة كانت فى عهد الإمبراطور جستين أيضا أنها ضد الحميريين فى اليمن وليس مكاناً آخر .

ومن المرجح أن اضطهاد ذى نواس للمسيحيين لم يكن يخلو من بعد اقتصادى حيث مارس ذلك الاضطهاد كذلك على التجار الأحباش والرومان . ومما لا ريب فيه أن يكون ازدياد نفوذ التجار العابرين والمقيمين قد أثار حفيظته إذ رأى ما يجنيه هؤلاء من ثروات طائلة من جراء ممارستهم أو سيطرتهم على طريق التجارة الرئيسى عبر جنوب الجزيرة العربية والبحر الأحمر إلى شمالها وحتى البحر المتوسط ، إنتهاءً ببلاد الشام أو مصر فى طريقهم إلى الإمبراطورية البيزنطية ، وربما أنه رأى المسيحيين فى ظفار ونجران أعواناً لهؤلاء الرومان والأحباش ، لذلك راح يمارس سياسته والأمل يحدوه فى أن يتحول هذا الثراء لليهود ، إذا ما حلت تجارتهم محل أولئك الأجانب (المسيحيين) ولعبوا دورهم فى حركة التجارة النشطة بين مناطق المواد الخام والتوابل والبخور والحرير فى شرق آسيا وجنوبها الشرقى ، وشرق أفريقيا وأسواق الإستهلاك فى الإمبراطورية البيزنطية ، ومن ثم فإن سياسة الملك الحميرى تجاه المسيحيين إذا كانت لا تخلو من نغمة التعصب الدينى إلا أنها فى الوقت نفسه تنطوى على أهداف إقتصادية بعيدة ويبدو أن الناجين من الإضطهاد قد استنجدوا بملك الحبشة أو استنجدوا بالإمبراطور (جستين) فى القسطنطينية(٢٧) .

أما بروكوبيوس فيذكر (٢٨) فى ذلك الوقت ، عندما كان (Hellestheaeus) يحكم الأثيوبيين ، وكان Esimiphaeus يحكم الحميريين، أرسل الإمبراطور جستنيان سفيره Julianus بطلب من الشعبين من أجل حسابات دينية وهى نفس حسابات الرومان من أجل شن الحرب على الفرس .

لقد افترض انه بشراء الأثيوبيين الحرير من الهند وبيعه للبيزنطيين سوف يصيبون مكاسب كبيرة ، حيث يحصل عليه الرومان عن طريق واحد وذلك يفرض عليهم بالقوة دفع الكثير لأعدائهم ، هذا هو الحرير (Μέταξα) الذى اعتادوا على صناعة الملابس منه والذى سماه اليونان (Μηδικής) وهو الذى يسمى حاليا (σηρικής)* ، وكما حدث مع الحميريين كان البيزنطيون راغبين فى وضع (قيس) اللاجىء كقائد على المعديين ويمكن مهاجمة أرض الفرس بجيش كبير من رجالهم مع العرب المعديين .

كان (قيس) قائداً بطبيعته (من سلالة قواد) وبصفه خاصة كان مقاتلاً ولكنه كان قد قتل أحد أقارب (Esimiphaeus) ، وهرب فى أرض بعيدة معزولة ، وعداه الملكان بأن يضعا رغبته موضع التنفيذ ، وبعد انصراف السفير ، لم يستطع أحد منهم تحقيق ما طلب منه، لم يكن من الممكن للأثيوبيين شراء الحرير من الهنود ، حيث اعتاد التجار الفرس الذين كانوا لقرب بلادهم يقيمون فى الموانىء (موانىء سيلان) التى تأتى إليها سفن الهنود أول ما تأتى ، وحيث اعتادت (تلك السفن) على شراء الشحنات بأسرها (من ناحية أخرى) كان من الواضح أنه من الصعب على الحميريين عبور إقليم صحراوى ، ممتد لمسافة بعيدة جداً ، وكانت الرحلة تحتاج وقتا طويلا (للقيام) بالرحلة عبره ، والذهاب إلى (هناك) ضد أناس لهم خبرة بالحرب أكثر منهم (متمرسين على الحرب) اكثر منهم " .

إذا قارنا النصوص السابقة ببعضها وما تطابق فيها من أقوال وما اختلف بالنسبة للسفارات ، نجد أن حديث ثيوفانس ذكر فيه أن الملك الأثيوبى عندما قرأ رسالة الإمبراطور وجد أن فيها طلباً بتسليح نفسه ضد الملك الفارسي وتخريب

الإقليم الفارسى القريب منه ، ومن الممكن أن يفسر قوله الإقليم الفارسى القريب منه على أنه اليمن وليس أرض الفرس نفسها أو إقليم العرب الفرس (الحيرة) وذكره الملك الفارسى من الممكن أن يكون الملك الحميرى التابع للفرس .

ذكر ثيوفانس أن الخطاب اتخذ الترتيبات بربط أرض الحميريين بالتجارة مع الإسكندرية عن طريق البحر الأحمر وذلك لتهديد الساسانيين ولم يذكر نوع هذه التجارة ، لذلك لا نستطيع أن نؤكد أن هدف السفارة كان الحرير فقط .

تذكر السفارة أن الملك الأثيوبى بدأ الحشد وأرسل العرب وذهب بنفسه ضد الإقليم الفارسى (الإقليم التابع للفرس) ، ونهبه وبشر السفير جوليان شخصياً بأن أعطاه قبله النصر على رأسه ، معنى ذلك أنه ذهب إلى أرض الحميريين لأنه لا يفهم أن الملك الأثيوبى تحرك ضد الفرس فى شمال الجزيرة العربية ، أما قوله (أرسل العرب) من المحتمل أنهم القبائل العربية فى نجد لمساعدة الملك الأثيوبى فى الهجوم على حمير * .

إذن نستطيع - من خلال هذه السفارة - أن نقول أن تلك السفارة كانت السفارة التى أرسلت فى عهد جستين (٥١٨ - ٥٢٧) إلى الملك الأثيوبى فقط حيث أنه واضح من السفارة أنها كانت لحث ومساعدة أثيوبيا على التحرك لمهاجمة الملك الحميرى ذى نواس حاكم جنوب الجزيرة العربية الذى كان يهودياً وبدأ فى اضطهاد المسيحيين . حيث يذكر كوزماس [٢٩] أنه كانت هناك استعدادات للحملة عندما كان فى أدوليس عام ٥٢٢ * .

ومن الممكن أن سفارة جوليان كان بها الأخبار الأكيدة عن تحرك سفن حربية بيزنطية لمساعدة الأحباش فى الهجوم على اليمن ** ، حيث تذكر المصادر

أنه كان هناك فى ذلك الوقت تجمع سفن من أيلة والقلزم وجزيرة جوتاب (تيران) فى أدوليس [٣٠] ، ويبدو أن الملك الأثيوبى كان ينتظر هذا المدد لأن بلاده لم تكن تمتلك إلا اسطولاً تجارياً[٣١] .

وواضح من استعدادات الحملة أنها كانت حملة عسكرية كبيرة ، تلك التى استدعت اشتراك أسطول بحري بيزنطي كبير لهذه الدرجة .

لقد كانت سيادة اليهود فى اليمن تثير مخاوف السياسة البيزنطيين إلى حد كبير ، ليس فقط بدافع العداء بين اليهود وبيزنطة ، وما نتج عنه من إعتداءات على التجار البيزنطيين فى اليمن ، ولكن لما تمثله السيادة اليهودية على اليمن من امتداد للنفوذ الفارسى فى هذه المنطقة الحيوية الهامة بالنسبة للتجارة البيزنطية . وتأكدت هذه المخاوف بعد المراسلات التى دارت بين ذى نواس الحميرى وملك الحيرة اللخمى ، الذى كان يدور فى فلك السياسة الفارسية[٣٢] هذا بالإضافة إلى أن عدداً من يهود الفرس قد انخرطوا فى الخدمة العسكرية فى الجيش الفارسى وحظوا بالإحترام [٣٣] وكانت جماعات منهم قد عملت بالتجارة وجنى الساسانيون من ورائها ثروات طائلة وذلك بإرسالهم سفن تجارية تعمل لحسابهم إلى منطقة القرن الأفريقى [٣٤] لذلك رحبت ولعبت الامبراطورية البيزنطية دوراً اساسياً فى أن تمد مملكة أكسوم نفوذها إلى الشاطىء الآسيوى للبحر الأحمر بدلاً من أن يقفز إليها - عبر اليهود - النفوذ الفارسى ، وقد أقام الأحباش بعد ذلك سلطاناً فى حمير حيث كانوا يستطيعون تبرير ذلك برسالة المسيحية التى كانوا يحملون لواءها [٣٥] .

السفارة الأخرى كان السفير فيها هو نتوسوس وكما يذكر (فوتيوس) أن (نتوسوس) كان من أسرة ديبلوماسية خدمت الإمبراطورية طوال ثلاثة أجيال

خصوصاً فى منطقة الجزيرة العربية والبحر الأحمر وكان جده سفيراً إلى الحيرة ، ووالده سفيراً أكثر من مرة لنفس (قيس) هذا - القائد العربى لقبائل المعديين حيث يذكر (فوتيوس) أن Abrames والد ننوسوس قد أرسل إلى قيس للمرة الثانية ، واختيار ننوسوس كسفير فى السفارة الثانية له مغزاه حيث كان الملك الأثيوبى قد استولى على أرض حمير ، بعد سفارة جوليان ، وعين فيها ملكاً حميرياً تحت وصاية الأثيوبيين ويبدو أنه كان على شيء من الضعف ** وكان قيس العربى قائد المعديين قد هرب بعد أن قتل أحد أقارب هذا الملك [٣٦] ، وبذلك يكون الملجأ الوحيد له هو الدولة البيزنطية الذى كانت له علاقة سابقة بها عن طريق (Abrames) والد (ننوسوس) .

كانت سفارة (ننوسوس) كما يوضح (فوتيوس) لها ثلاث مهمات إلى قيس فى معد ، إلى ملك أكسوم ، إلى حمير . ويبدو أن هدف السفارة هذه كان جمع القوى الثلاث من أثيوبيا وحمير والجزيرة العربية للهجوم على الأرض التابعة للفرس فى الشمال الشرقى (الحيرة) أو على الأقل محاولة درء خطر الفرس عن الأملاك البيزنطية فى شمال وشمال غرب الجزيرة العربية وساحل البحر الأحمر وفتح جبهة على الدولة الفارسية بحيث تضعفها فى صراعها الدائم مع بيزنطة ، لأن قيس (كما يذكر فوتيوس) ذهب إلى القسطنطينية بعد أن قسم أملاكه بين أخويه Ambrus (عمرو) و Yazid ويذكر (فوتيوس) أن الإمبراطور عينه حاكماً ادارياً (فيلارخوس) على فلسطين الثالثة وهى تلك التى تشمل شمال الجزيرة العربية [٣٧] ، حيث عين الحارث بن جبلة على شمال غرب الجزيرة ، واستخلص جزيرة جوتاب (تيران) من اليهود الذين كانوا سكنوها[٣٨] عند رحيلهم من اليمن بعد الغزو الأثيوبى لحمير .

بالنظر إلى حديث بروكوبيوس ، نجد أنه خلط فى الأحداث بين السفارتين فأخذ من الأولى إسم السفير وهو جوليان وأنه ذهب إلى الحبشة وأخذ من الثانية أن هذا السفير قد ذهب إلى أثيوبيا وحمير ومعد وأن (εσιμιφαίος) كان يحكم اليمن فى حين أن هذا الملك الحميرى قد حكم اليمن بعد سفارة جوليان وانتصار الحبشة على اليمن ومن ثم تنصيبه ملكاً على اليمن بعدها .

ثم أن السفير الذى ذهب إلى أكسوم وحمير ومعد هو ننوسوس حسب حديث (فوتيوس) وليس جوليان كما يذكر بروكوبيوس .

ولتوضيح ذلك :

- بالنسبة لنص بروكوبيوس عن السفارة فقد اتفق مع ثيوفانس فى حديثه عن السفارة الأولى بالنسبة لإسم السفير وهو جوليان والغرض من السفارة وهو تسهيل تسيير التجارة بين الحميريين والإسكندرية البيزنطية ولو أن ثيوفانس لم يذكر تحديداً تجارة الحرير التى ذكرها بروكوبيوس * .

اتفق بروكوبيوس أيضا مع ثيوفانس أن السفارة كان بها تحريض على مهاجمة الفرس وكما ذكرنا من قبل فإنه من الواضح من حديث ثيوفانس عن سفارة جوليان أنه يقصد مهاجمة اليمن التى بها عملاء الفرس لأنه ذكر الإقليم القريب ، ويبدو أن هذا هو الهجوم الذى قام به الملك الأثيوبى على (ذى نواس) الحميرى ، ومن ثم لم يكن هناك بعد حاكم أثيوبى أو عربى وهو الذى اطلق عليه بروكوبيوس (εσιμιφαίος) [٣٩] وذكر فى المصادر بعد ذلك أنه حكم اليمن بالفعل وتذكره المصادر العربية بإسم السميفع . ولكن بروكوبيوس ربما قصد بذكره غزو ارض الفرس (ἐαβσλωσιν ές τήν Περσῶν γῆν) هو مهاجمة الفرس فى شمال الجزيرة العربية (ربما الحيره) .

لم يذكر ثيوفانس أن جوليان ذهب إلى اليمن لكن بروكوبيوس يذكر أن جوليان طلب الشعبين (الأثيوبى والحميرى) .

(πρεσβευτηήν Ἰουλιανόν επεμψεν ἀξιῶν ἀμφω)

وهذا ما يتفق فيه بروكوبيوس مع السفارة الثانية التى كان السفير فيها هو (ننوسوس) من حيث أن السفارة أرسلت إلى كل من أكسوم وحمير وإلى قيس قائد المعديين الذى كان هارباً بعد قتله أحد اقارب حاكم حمير العربى (εσιμιφαίοσ) وهذا يؤكد أن السفارة التى يتحدث عنها بروكوبيوس تتفق مع سفارة ننوسوس الثانية بعد إضافة ما سمعه عن سفارة جوليان فاختلطت مصادره وكتب عن السفارة بهذا الشكل * خصوصاً أنه يذكر فى حديثه ما يتطابق مع سفارة جوليان التى ذكرها ثيوفانس فى أن بيزنطة ترغب فى شن الحرب على الفرس لأجل التجارة .

نص بروكوبيوس يوضح نتيجة السفارة - إذا اعتبرنا أن حديثه يتطابق مع حديث فوتيوس عن السفارة الثانية - وهو أنه رغم أن الملكان (ملك أكسوم وملك حمير) وعدا السفير أن يضعا رغبته موضع التنفيذ ، إلا أن أحداً منهما - حسب تعبير بروكوبيوس - لم يستطع تحقيق ما طلب منه ، من حيث شراء الحرير من الهنود وأن يحلوا محل الفرس فى توريد الحرير للإمبراطورية البيزنطية ، كان من المستحيل على الأثيوبيين أن يشتروا الحرير من الهنود لأن التجار الفرس الذين كانوا لقرب بلادهم يقيمون فى موانىء سيلان التى تأتى إليها سفن الهنود أول ما تأتى اعتادوا شراء الشحنات بأسرها ولم يكن جوار الفرس فقط هو السبب ولكن لم يشأ أهل سيلان أن يخسروا عملاءهم القدامى بالتعامل مع منافسيهم ، أيضا لم يستطيعوا مهاجمة الفرس حيث أنه - حسب تعبير بروكوبيوس - كان من الصعب على الحميريين أن يعبروا إقليماً صحراوياً لمحاربة أناس على درجة كبيرة من المهارة (الدراية) بالحروب .

أما مقولة بروكوبيوس أن جستنيان قد أرسل جوليان لأجل الحسابات الدينية التى هى نفس الأسباب عند البيزنطيين فهذا ينطبق بصورة أكبر على السفارة الاولى المذكورة عند ثيوفانس والتى كان بها حض من البيزنطيين لأثيوبيا لشن الحرب على حمير حيث كان السبب الظاهرى بها هو إنقاذ المسيحيين من يد حاكم حمير اليهودى ويبدو أن ذلك كان ستاراً اتخذته بيزنطة لتحقيق كثير من أهدافها فى تلك الفترة خصوصا مع الدولة الفارسية .

ينطبق حديث كوزماس [٤٠] مع حديث ثيوفانس عن السفارة الأولى فى أن الحملة التى أعدها ملك أكسوم على الحميريين كانت فى بداية حكم الإمبراطور جستين (٥١٨ - ٥٢٧) وهو يعطينا تأكيدا باستعداد أكسوم قبل مجىء السفير جوليان ، لأن زيارة كوزماس لأدوليس كانت فى بداية حكم جستين ، كما يذكر أن الحملة ضد الحميريين على الجانب الآخر من الخليج .

بالرجوع الى جون مالالاس ، نجد أنه ذكر عن بعثة أرسلها الإمبراطور جستين إلى ملك الأكسوميين الذى ذكره باسم Elesbaas ، ولحسن الحظ فإن وصفه محفوظاً فى كتاباته [٤١] ، ويعتبر حديثه مطابقاً لما ذكره كوزماس ، حيث أشار مالالاس إلى أن الفرصة كانت مواتية لحملة Elesbass ، وذلك بقتل الحميريين للقديس الحارثه St. Arethas ومطابق لسفارة جوليان فى أن السفير طلب من الأحباش أن يأتوا بالسلع عبر أراضى حمير . لقد حدد تاريخ موت الحارثه بعام ٥٢٢ حيث كان العام الخامس من تولى الامبراطور جستين الحكم (٥١٨-٥٢٧)، وكانت زيارة كوزماس لأدوليس - طبقاً لحديثه - فى عام ٥٢٥ وكانت بعثة جوليان بعد ذلك .

والخلاصة أننا نستطيع القول أنه يتبين من النصوص أنه كانت هناك عدة سفارات وصلت إلي منطقة المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، وظهرت لدينا فى المصادر الكلاسيكية هاتان السفارتان اللتان - فيما يبدو - كانتا متلاحقتين ، ويبدو على ضوء حديث كوزماس ومالالاس أنه بعد مقتل القديس الحارث عام ٥٢٢ م بدأ الأكسوميون - متحينين فرصة تلك الحادثة - فى الاستعداد لغزو إليمن ، ويبدو أن جوليان كان قد وصل بسفارته التى ذكرها(ثيوفانس) وكانت الإستعدادات قد تمت ، ولم تكن الحبشة لديها أسطول عسكرى بالقدر الذى كان عليه أسطول التجارى ، لذلك نجد أنه تزامن وجود سفن من القلزم وجوتاب (تيران) وأيله فى أدوليس وبالطبع لم يكن ذلك صدفة بالنسبة للسفير الذى تحرك من مصر وله صلاحيات واسعة بالنسبة لموقعه كأحد رجال الخدمة السرية للإمبراطورية . ومن الممكن أن ننعتبر أن الحملة كانت فى عام ٥٢٧ حيث يشير ثيوفانس إلى تجدد الحروب بين الفرس والبيزنطيين بعد نقضهم المعاهدة عام ٥٢٧ .

والواقع أن الروايات العربية لا تبتعد عن الحقيقة [٤٢] والمصادر تشير إلى تجمع سفن بيزنطية فى ميناء أدوليس التابع للأحباش لنقل القوات الحبشية، حيث لم تكن أكسوم تمتلك إلا سفناً تجارية ، وهى سفن من القلزم وعيتاب (تيران).

لقد كانت القسطنطينية تدرك صعوبة الغزو العسكرى المباشر لشبه الجزيرة العربية وذلك لطبيعة المنطقة وبعدها لذلك ازداد الإهتمام بتقوية أسطولها فى البحر الأحمر وتحسين علاقاتها السياسية مع زعماء القبائل العربية وتعزيز تحالفها مع مملكه أكسوم للحفاظ على مصالحها الإقتصادية وتحقيق أهدافها

السياسية ،وكانت ترى فى تدعيم سيادة حلفائها الأحباش على بلاد (العربية السعيدة) تدعيماً لسيادتها هى فى البحر الأحمر وعلى جانبيه كجزء أساسى من صراعها المستمر مع الإمبراطورية الفارسية ، إقتصادياً وسياسياً وعقائدياً ، ولذلك لم تتوان عن تقديم أسطولها ليحمل الأحباش إلى إليمن (٤٣) .

ويخبرنا مخطوط استشهاد الحارثه* أن وفداً من أهل نجران قد استنجدوا بالإمبراطور البيزنطى ، وأن رجلاً من نجران تمكن من الوصول إلى ملك الحبشة ليستنجد به (٤٤) - ويذكر كاتب المخطوط أنه عندما وصلت رسل الإمبراطور إلى ملك الحبشة وجدته قد استعد بالفعل لأمر الغزوة ، وهذا ما نجده فى كتابات (ثيوفانس) أنه بمجرد وصول البعثة (السفارة) بدأ الملك الأثيوبى فى الحشد وبدأ التحرك .

وخرجت الحملة وانتصر الأحباش على ذى نواس ، وهذا ما يفسر ما ذكره ثيوفانس أن الملك الأثيوبى وضع قبلة النصر على جبين جوليان ، وحمله بالهدايا عند عودته ومن الممكن أن يكون قد بشره بتحقيق الهدف من السفارة بأن التجارة سوف تسير بين جنوب الجزيرة العربية والاسكندرية إذن فإن البيزنطيين قد سمحوا وساعدوا هذه الحمله لغرض دينى نعم ولكن لابد أن تؤتى السفارة ثمارها بتأمين تجارة الامبراطورية فى أرض إليمن .

أما سفارة نونوسوس التى يذكر فيها أنه زار كلا من أكسوم ، حمير ، معد فإنه يفسر لنا ليس لاستجلاب الحرير أو محاولة تغيير طريق تجارته لأن جستنيان يدرك تماما بخبرته الديبلوماسية أنه ليس بإرساله سفارة يغير مسار تجارة سلعة منهمة كهذه استطاع الفرس الاستئثار بها منذ بداية الإتجار فيها وحيث كان

البيزنطيون يحصلون عليها عن طريق واحد كما يذكر بروكوبيوس [٤٥] . ولكن للاطمئنان على استتباب الأوضاع فى أكسوم وحمير ، ثم داخل الجزيرة العربية فى أرض معد التى تربط البيزنطيون بهم تحالفات قديمة لأن ننوسوس ذكر أن (قيس) قسم إمارته بين أخوته ويبدو أن ذلك استعدادا لتوليه فيلارخية فلسطين (الثالثة) ويدخل فيها غرب الجزيرة العربية التى بها خليج العقبة ، ذلك الشريان البحرى الهام للبيزنطيين الذى يوجد بمدخله جزيرة جوتاب (تيران) وهى التى بها نقطة من أهم مراكز المكوس البيزنطية فى البحر الأحمر ، كذلك مواجهة اللخميين وهم العرب التابعين لفارس فى شمال شرق الجزيرة العربية ومنعهم من الوصول إلى الأملاك الرومانية . ومن المحتمل ان تكون السفارة الثانية كانت طلباً لرد الجميل على إرسال بيزنطه الإمدادت إلى أكسوم لغزو إليمن خصوصاً الأسطول البيزنطى وكان هذا الرد من وجههة النظر البيزنطية هو إحداث مناوشات وبلبلة وذلك بدعوى جلب الحرير عن طريق أكسوم والأهم من ذلك هو الزحف على شمال شرق الجزيرة العربية لتأمين الجبهة البيزنطية من ناحية فارس .

نلاحظ كثرة تعقيد العلاقات السياسية فى تلك الفترة وبالطبع لا تنسى بيزنطة عبور الملك الفارسى سابور الثانى (٣١٠-٣٦٩) الخليج العربى ، بعد وفاة قسطنطين ، وذبحه الكثير من أهل البحرين وإقامة جإلية فارسية وزحفه إلى نجد بمساعدة بعض القبائل العربية حتى وصل لأطراف الحجاز [٤٦] . وبيزنطة بنشاطها هذا فى الجزيرة العربية من إرسال ننوسوس إلى معد فى وسط الجزيرة وما تبعه من تقسيم (قيس) مناطقه بين أبنائه وذهابه إلى القسطنطينية وتوليه فيلارخية فلسطين ، إنما هو منع للخطر الفارسى عن غرب الجزيرة لأنه كما ذكرنا كان للفرس وجود فى ميناء أدوليس وليس من المستبعد أن يكون تجارهم قد زاروا

حمير منذ زمن بعيد ولهم تواجد هناك [٤٧] ، كما كانوا يرسلون قوافلهم التجارية إلى إليمن ويوكلون حراستها لجماعات من العرب يختارونهم من زعماء القبائل المعروفين الذين يتمتعون بالمهابة فى قومهم [٤٨] وهذا كان يثير الريبة فى نفوس البيزنطيين ، لأنه لو تم التقارب بين الساسانيين وملوك حمير لوقعت الطرق التجارية الرئيسية المؤدية الى بيزنطة فى قبضة الفرس ، ومن الممكن أن جستنيان لم يرض للإمبراطورية البيزنطية أن تعتمد فى إقتصادها على فارس فعقد عزمه على أن يتلمس طريقاً تجارياً إلى الصين لا يخضع للنفوذ الفارسى [٤٩] .

من ناحية أخرى ربما كان الهدف من بعثة (ننوسوس) هو أن يجد جستنيان تجاوباً لدى الأحباش بهدف لفت أنظار الفرس إلى تلك المناطق عن طريق جرهم فى مناوشات عند منطقة الخليج ليخفف الضغط عن الجبهة الشمالية الشرقية ، وقد سعى جاهداً ليحقق تقارباً بين قوات الأحباش فى إليمن والقبائل العربية فى نجد مثل قبيلة (المعديين) وذلك للتعاون من أجل الوصول بقواتهم معاً إلى شرق الجزيرة العربية تهديداً للأراضى الفارسية والنفوذ الفارسى [٥٠] ورغم تحقق السلام بين الفرس وبيزنطة عام ٥٣٢ فى السنة الثانية من حكم كسرى انوشروان كانت إثارة الحرب متوقعة دائماً [٥١] ، إلا أنه من الصعب التصورأن جستنيان أراد من الأحباش بعد استيلائهم على إليمن - بناءً على إرسال السفارة الأولى - أن يتعاونوا مع القبائل العربية فى نجد بحيث يدخلون فى حرب مع الفرس فى شرق الجزيرة العربية لأن هذه القبائل لم تكن أقل تبصراً من الأحباش بنتائج تلك المغامرة غير المأمونة كما يذكر بروكوبيوس [٥٢] ، وكما يذكر المؤرخون المحدثون أنها (صفقة المغبون) [٥٣] ولكنه أرسل البعثة الثانية للإطمئنان على

استتباب الأمور بعد الغزو وكذلك لتجديد الدعوة لقائد عرب وسط الجزيرة للحضور للقسطنطينية وقد رأينا من حديث ننوسوس أنه (قيس) قسم أملاكه بين أخوته ليتفرغ هو لمواجهة العرب الفرس (اللخميين) فى شمال شرق الجزيرة العربية لأنه يبدو أن غاية ما كان يسعى إليه جستنيان فى تلك المرحلة هو وجود حد أمن بين الاملاك البيزنطية وتهديد اللخميين عملاء الفرس وواضح أن اختيار بيزنطة كان فى محله حيث يذكر ننوسوس ان هذا العربى كان مقاتلا بطبيعته ومن سلالة قواد كما يذكر بروكوبيوس(٥٤) .

ولكن هل أدت السفارات من بيزنطة إلى الحبشة وجنوب الجزيرة العربية ووسطها الغرض منها ..؟؟؟... وذلك على ضوء الأحوال السياسية فى العالم الشرقى فى تلك الفترة .

من الواضح أننا امام ، ليس فقط سفارات من بيزنطة تحث الأكسوميين والحميريين على شراء الحرير من شرق آسيا وتوريده للإمبراطورية ، وبذلك تخرج بيزنطة من دائرة الإحتكار الفارسى لهذه السلعة أو حتى التحالف مع أكسوم وحمير وعرب وسط الجزيرة لغزو فارس ، ولكننا أمام سياسة متكاملة بدأتها بيزنطة بديبلوماسية غاية فى التعقيد فى تلك الفترة ، كذلك بدأتها بتوقيت مهم جداً لمحاولة تشتيت جهود الفرس ، حيث كان من اللازم للإمبراطورية البيزنطية تأمين جبهاتها الشمالية والشمالية الشرقية ، وكما وجدنا فى نص ثيوفانس (٥٥) أن السفارة الأولى جاءت للحبشة بعد " تجدد الحروب بين الفرس والرومان ، بعد نقضهم معاهدة السلام التى كانت بينهما " .

لقد فتحت الدولة البيزنطية - خصوصاً جستنيان - جبهات متعددة للحرب سواء منها الهجومية ضد الممالك الجرمانية فى غرب أوربا ، الدفاعية عن

أطراف الإمبراطورية ضد فارس فى الشرق أو الصقالبة فى الشمال [٥٦] فى الوقت الذى عاصر فيه جستنيان أحد أقوى ملوك فارس هو كسرى أنوشروان (٥٣١-٥٧٩) ، الذى كان عصره فتحا لأزهى فترة من فترات الدولة الساسانية حيث استقرت الحالة الدينية ، كذلك ساد الأمن فى بلاده وأصلح النظام الإجتماعى والضرائب والجيش [٥٧] ، فكان لزاماً على جستنيان أن يكون أكثر قوة واكثر حذراً فى مواجهة إمبراطورية بهذا القدر من الإستقرار والإزدهار .

خـــلاصـــة

لقد كانت شبه الجزيرة العربية إحدى محطات الصراع الدولى الدائر فى ذلك الوقت بين القوتين الكبيرتين بما تمثله من قوة إقتصادية وبالتالى سياسية تتمثل فى كونها أهم طرق التجارة الرئيسية بين الشرق والغرب فى العصور القديمة والوسطى ، ولا تقل اهمية لدى الدولة البيزنطية عن مناطق الشمال والشرق من الإمبراطورية . وبغض النظر عن أهميتها فى حد ذاتها لبيزنطة إلا أنها فى الوقت نفسه مفتاح البحر الأحمر من ناحية الجنوب وصولا إلى مصر ، أهم ولاياتها فى ذلك الوقت من الناحيتين السياسية والعسكرية فضلا عن الناحية الإقتصادية .

لقد كان يؤلم القسطنطينية أن يسيطر الفرس على الطريق الرئيسى للحرير القادم من الصين عبر وسط آسيا ، وأيضا تحكم التجار الفرس فى كميات الحرير المتجهة إلى بيزنطة عبر البحر الأحمر ، وكانت سيادة فارس على تجارة الحرير براً وبحراً تسبب مشكلة كبيرة لبيزنطة ، وكانت أكسوم تتحكم بموانئها خصوصاً أدوليس فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر الذى كانت الإمبراطورية البيزنطية تمتلك القسم الشمالى منه ، وكان البحر وما يحاذيه على ساحله الشرقى يمثل واحداً من

أهم الطرق التجارية الرئيسية آنذاك وان لم يكن أهمها على الإطلاق [٥٨] ، فكان لزاماً على بيزنطة أن تعمل على تحسين علاقاتها بالأمم الموجودة على طرفى مدخل البحر الأحمر من الجنوب .

كانت العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية وأكسوم لا تحكمها فقط المصالح الدينية ، بل لأن كلاً منهما كانت له مصالحه الخاصة فى تلك المنطقة (جنوب الجزيرة العربية) والتى تتفق مع بعضها فى أغلب الأحيان ، وكانت أحداث جنوب الجزيرة العربية من اضطهاد للمسيحيين ، سبباً مباشراً للعمل سوياً من أجل تحقيق هذه المصالح التى كانت الجهود العسكرية الحبشية - البيزنطية ، إحدى الوسائل خلال الربع الثانى من القرن السادس ، ويبدو مع إدراك جستنيان أن الأسباب المعلنة للسفارات من محاولة تغيير مسار تجارة الحرير أو غزو فارس نفسها أو أراضى العرب اللخميين لم يكن أكثر من فتح أبواب للصراع الإقتصادى بينه وبين الفرس حتى لا يضيع منه خط تجارة باب المندب ويذهب للساسانيين وكانت السفارات حلقة من سلسلة الصراع الإقتصادى بين بيزنطة وفارس الذى اتخذ فى فترة سبيل الديبلوماسية وفى فترة ستار الدين وفى ثالثة الصراع المسلح .

لقد كان من اللازم لبيزنطة تأمين المدخل الجنوبى للبحر الأحمر بعد اتساع التجارة وتدفقها فى هذا الشريان الحيوى الذى حدا بجستنيان إلى إنشاء نقاط للمكوس فى شماله فى كل من القلزم وأيله وجزيرة Iotabe (تيران) فى مدخل خليج العقبة ، وكما كان على جستنيان تأمين المدخل الوحيد للبحر الأحمر كان لزاماً عليه تأمين ساحله الشرقى حتى لا تصل إلى شرق الجزيرة يد الفرس كما حدث من قبل (حملة سابور الثانى بعد وفاة قسطنطين مباشرة) * ، ولم تكن

دعوة (قيس) قائد العرب المعديين إلى بيزنطة ، وتعيينه فيلارخوس على إقليم فلسطين الثالثة بعد تقسيم مناطق نفوذ وسط الجزيرة بين أخويه الإثنين كما ذكر فوتيوس فى حديثه عن بعثة ننوسوس بالشيىء الجديد فى السياسة البيزنطية ، ولكنها إجراء من مجموعة إجراءات لتأمين الأملاك الرومانية فى غرب الجزيرة وساحل البحر الأحمر فقد سبق وعين ليو الأول (٤٥٧ - ٤٧٤) أحد العرب الآبقين من سلطة الفرس قبل ذلك بعد مناورات عدة أخذت سنوات معه ، عينه فيلارخوس على تلك المنطقة وحاكماً على تلك الجزيرة الهامة (Iotab) وجابياً لمكوسها (٥٩) .

وليس هناك دليل على أن فكرة مهاجمة فارس أو أرض العرب الفرس اللخميين فكرة غير صائبة أكثر من أنه عندما سير حاكم إليمن الحبشى الذى دعته المصادر بإسم Abramos والذى يذكر بروكوبيوس (٦٠) أنه بنى قوته فى سرية تامة واعداً جستنيان بمهاجمة أرض فارس ولكن بمجرد سير الحملة عادت من وسط الجزيرة بعد فشلها قبل وصولها إلى أرض فارس فى الشمال .

وبناء على حديث بروكوبيوس يمكن أن تكون تلك الحملة جزءاً من تخطيط بيزنطة لغزو فارس .

ومن المحتمل أن سير الحملة لم يكن وفاءاً لوعد Abramos هذا لجستنيان : حيث رأى هذا الحاكم - معتمداً على قوته - أن بيزنطة تسيطر على البحر الأحمر بأسطولها الموجود فى القلزم وأيلة وتيران ، وفارس بسفنها فى الخليج العربى

والمحيط الهندى حتى سيلان وبموقعها على الطريق البرى عبر وسط آسيا ، فأقدم على البحث عن طريق يخصصه له فكانت حملته تلك ليكسب طريقاً وسط

الجزيرة العربية وهو الطريق القديم الذى كان يبدأ من صنعاء ويتجه شمالاً ليمر بالمدن الرئيسية كالطائف ومكة ويثرب إلى دمشق (٦١) .

لم تخف الجهود الديبلوماسية تلك بين بيزنطة وأكسوم وشيوخ القبائل العربية فى شبه الجزيرة العربية عن السياسة الفارسية ، خصوصاً مع تقديرهم خطورة الإمتداد البيزنطى إلى قرب حدودهم الجنوبية الغربية ، لذلك لم يقنعوا باحتكارهم السلعة الرئيسية وطريق التجارة وسط آسيا وحصولهم على الجزية السنوية (٦٢)

لكن نجدأن هناك وفوداً فارسية حضرت لليمن عام ٥٤٢ - ٥٤٣ (٦٣) .

على أى الأحوال فإن الفرس ظلوا يحتكرون تجارة الحرير حتى منتصف القرن السادس الميلادى حتى تمكن الإمبراطور جستنيان من الحصول على بيض دودة القز وبذور شجر التوت عن طريق راهبين مسيحيين توغلا إلى وسط آسيا حتى مملكة خوتان Khotan ووصلا إلى القسطنطينية يحملان سر دودة القز وبيضها فى عكازيها الأجوفين (٦٤) فأقام بذلك أساساً لصناعة بيزنطية للحرير .

وعقدت معاهدة سلام بين بيزنطة وفارس عام ٥٦٢ لمدة خمسين عاماً اتفق فيها أن يترك للطرفين مالهما من أراضى قديمة ، وأيضاً حرية التجارة بين فارس وبيزنطة ، وحرية الديانة ، وعدم التبشير بين الطرفين فى أى من الدولتين ، ثم تحديد نقاط المكوس على التجارة فى الدولتين (٦٥) .

الحواشـــى

١ - عن السلع وطرق التجارة من جنوب الجزيرة العربية إلى بلاد الأنباط :

انظر : مصطفى كمال عبد العليم : تجارة الجزيرة العربية مع مصر فى المواد العطرية فى العصرين إليونانى والرومانى .

مجلد تاريخ الجزيرة العربية ، الرياض ، ١٩٨٤ ، ص ٢٠٢ .

٢ - عن حالة الأنباط آنذاك عند إنتعاش التجارة بعد معرفة الإستفادة من الرياح الموسمية.

أنظر :

Pliny : N.H. V1,100;104 .

Prepl. : 57.

وأصبحت السفن المحملة بالعطور والتوابل تصل مباشرة إلى موانىء مصر فى الأوقات المناسبة ، ومن هناك يمكن نقلها إلى البحر المتوسط .

أنظر :

Bowersock, G.W. : Roman Arabia, London, 1983, P. 21 .

٣ - Strabo : XVII .1.45 .

٤ - Groom, N. : Frankincense and Myrrh, London , 1981 , P. 210 .

عن الرحلة من مصر إلى الهند

انظر :

Strabo : XVII.13 .

Pliny : N.H. VI.26.102 -3 .

ويبدو أن تراجان فكر أيضا فى ربط الأنباط بمصر وذلك عبر صحراء سيناء

Warmington, E.H. : The Commerce between The Roman Empire and India , Cambridge, 1928,P97 .

وأن ذلك قد تم بحفر قناة تراجان بين البحر الأحمر من نقطة على خليج القلزم إلى النيل.

٥ - عن حجم التجارة بين مصر والهند انظر : Strabo : XVII.I.13.

عما تنفقه الإمبراطورية فى سلع الرفاهية من الصين والهند والجزيرة العربية .

أنظر : Pliny : XII.14.84.

عما تدفعه الإمبراطورية فى تجارتها مع الهند أنظر Pliny : VI.26.101

٦ - جورج حورانى : العرب والملاحة فى المحيط الهندى ، ترجمة يعقوب بكر ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ١٠٠-١٠١

Bury, J.B. : History of the Later Roman Empire, New York , 1958, II, PP. 216-21.

٧ - عن نشاط أكسوم فى البحر الأحمر والمحيط الهندى أنظر :

Procopius : Persian War : I.XIX.

John Malalas : Chronographia, XVIII.456-9 .

Amm. Marc: Res Gestae, XXIII .6.10-11; 45-6.

ذكر أن الخليج الفارسى كان يعج بالملاحة

وذكر Groom, N. : Frankincense ..... P. 173.

ان السلع المستوردة من خارج الجزيرة العربية كانت تمثل نسبة كبيرة من حجم التجارة فى شرق الجزيرة ، وخصوصاً عمان ، ويذكر أنها كانت تفرغ حمولتها فى موانىء الخليج العربى فى شرق الجزيرة وعمان ويتم نقلها وتخزينها فى مخازن عليها حراسة وتضاف إليها السلع المحلية لحين تصديرها .

٨ - Musil, A. : The Northern Higaz , A topographical Itinerary , New York, 1926, P. 306.

* من الممكن أن يكون جنوب الجزيرة العربية له دور فى التجارة فى ذلك الوقت رغم عدم وجود النشاط العربى الواضح فى شمال البحر الأحمر ، حيث لاحظ الحاج الصينى فا - هن وجود التجار السبئيين Sa-Bo فى سيلان .

انظر الطبرى : جـ٢ ، ص ٨٢٠

انظر حورانى : المرجع السابق ص ٩٢ -٩٣ ، حاشية (٤٠).

كانت التجارة القادمة من جنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا تتجمع فى عدن التى كانت تعرف بإسم (المخزن الرومانى) ومنها تنقلها السفن الحبشية والبيزنطية إلى القلزم ومنها إلى النيل عبر القناة التى تربط خليج القلزم بالنيل ثم إلى البحر المتوسط أو إلى أيلة على رأس خليج العقبة ومنها إلى دمشق ماراً بالبتراء وبصرى إلى الساحل .

انظر : رأفت عبد الحميد : بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص ١٥٧ .

ويذكر.John Malalas : Chro . P. 433 انه كان هناك ليس القليل من التجار البيزنطيين يذهبون إلى أكسوم عن طريق أيلة وخليج العقبة أو من الإسكندرية ، بل أن بعضهم كان يركب سفناً حبشية إلى الهند .

Bury, J.B. : History of the Later Roman ... PP.316-333.

انظر أيضا : رأفت عبد الحميد ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ حورانى : ص ٩٦ .

* عن فارس وتهديد التجارة والطريق الشمال الأقصى الذى يعتمد على الهدوء النسبى بين تلك الأمم وطريق البحر الأحمر الذى تتحكم فيه أكسوم .كذلك عن الطريق الشمالى (طريق الحرير) .

أنظر : Warmington, E.H. : The Commerce Between The Roman Empire and India, Cambridge, 1928, P.22-28 .

Runciman ,S. : Byzantine Civilization , London , 1961 , P. 163 .

Heyd, W. Histoire du Commerce du levant au Moyen - age .
Leipzig , 1885,I, pp. 1-24.

* الذى ضمن كتابه عن الحروب الفارسية قسماً قصيراً عن الأحداث والأماكن حول البحر الأحمر حيث يلقى عليها ضوءاً قوياً ..... انظر حورانى : ص ٩٥ .

Cosmas : II. 140 .

Cosmas : XI . 337-8 .

Procop . : Persian War , I, XX, 9-13 .

Bury, J.B. : History of the Later .....,II,PP.316-321.

انظر أيضا Runciman, S. : Byzantine Civilization ... P. 165

Procop . : Persian War : I, X1X.5-7.

Antonius Martyr : Die Locis Sanactis , Itinera, Hierosolynitana , Tobler, Molinier, I.P.113;116 .

Procop . : Persian War, I,XIX.1-16 .

١٧ - السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص ٨٨ .

١٨ - رأفت عبد الحميد : المرجع السابق ص ١٥١ .

١٩ - الحيمى الحسن بن أحمد : سيرة الحبشة ، تحقيق مراد كامل ، القاهرة ، ١٩٧٢ ص ٤٨ .

٢٠ - Philostorgius: The Ecclesiastiecal History, B.III,Ch.4. as Epitomised by Photius, Parriarch of Constantinople .

* تسجل لنا المصادر سفارة من أوائل القرن الثانى ، ولا نستبعد أن تكون من أجل الحرير حيث ذكر ان تراجان (٩٨-١١٧) بعد عودته إلى روما حوالى عام ١٠٦ م قابل عدة سفراء من البرابرة كذلك تذكر سفارة من الهند ، وكان طريق الحرير خلال بارثيا قد أغلق وتحصل روما عليه فى ذلك الوقت عن طريق المحيط الهندى انظر:

Warmington, E.H. The Commerce... P.95 .

عن طريق الحرير فى عصر تراجان انظر : Warmington: P.137

عن طريق الحرير البرى من الصين للإمبراطورية انظر :

Warmington: iloid P.155 .

وقبل ذلك كان الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤ - ٣٠٥) قد توصل فى أواخر القرن الثالث الميلادى إلى إتفاق مع الملك الفارسى نارسيس (٢٩٢-٣٠٣ (بحيث تصبح مدينة نصبين الفارسية هى السوق الرئيسى للحرير المستورد من الصين ومنها يصدر إلى مدن الإمبراطورية .

انظر : Divornik F.: Origin of the Intelligance Services, New Jersey, 1974; P.168.

٢٠ - Divornik, F. : Origin of the Intelligance Services , New Jersey, 1974, P. 164 .

* يبدو أن السفارات من الإمبراطورية الرومانية لم تكن غريبة على الحبشة وجنوب الجزيرة العربية لأن البعثات التبشيرية لم تنقطع طوال القرن الرابع حيث وصل خلال هذا القرن تسعة من رجال الدين قادمين من الدولة الرومانية الشرقية لتنظيم عبادات الدين الجديد وترجمة الكتب اللازمة .

انظر : الحيمى الحسن بن أحمد : سيرة الحبشة ... ، ص ٥٠ .

٢٢ - رأفت عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٥٠-١٥١ .

٢٣ - Theophanes : Chronographia, AM 6064.

* عمل جوليان كـ agens in rebus وهى وظيفة يمكن أن يطلق عليها الآن وظيفة إستخبارية .

** اختلفت المصادر فى إسم ملك أكسوم .

أطلق عليه ثيوفانس إسم Arethas أو Kaleb

هذان إسمان عربيان " الحارثة " و" كلب " ، وكان العرب يطلقون لقب ملك فى كثير من الأحيان على شيوخ مجموعات القبائل ، حيث نجد ذلك كثيراً فى النصوص الأشورية التى تشير إلى هؤلاء الشيوخ ، وكلب وكليب من أسماء الأفراد ، وكلاب إسم قبيلة كانت رفيعة الشأن كما يظهر فى شعر العرب فى الجاهلية .

من المحتمل أن يكون هناك تجاوز عن طريق الإشارة إلى ملك عربى معدى تابع للحبشة على أنه الملك الذى يمثل أثيوبيا فى المنطقة خصوصاً أنه ذكر فى نفس النص "الملك الفارسى " للدلالة على الملك الحميرى التابع للفرس ، كذلك ذكر فى نفس النص أن (Arethas) بدأ مباشرة فى الحشد وبدأ الحرب بالتحرك ضد الفرس وارسل للعرب الذين عملوا تحت قيادته .

ومن المحتمل أن (Arethas) هذا هو الذى ظهر فى نص سفارة ننوسوس - الذى سيأتى ذكره بعد ذلك - إنه جد قيس الذى كان قائداً لإثنين من القبائل العربية المشهورة (الكنديين) و (المعديين) .

أو يكون الحارثة أو (كلب) شخصية ذات مركز رفيع فى البلاط الحبشى ، ليس ملك أثيوبيا ولكنه ممثلاً لملك أثيوبيا أو نائبا لملك أثيوبيا وموكل إليه مقابلة السفير جوليان الذى كان هو الآخر سفيراً (فوق العادة) .

- أطلق عليه ننوسوس Elesbaas .

- أطلق عليه بروكوبيوس Hellestheaeus .

- أطلق عليه كوزماس Elesbaan .

*** ذكر ثيوفانس بعد ذلك نقلاً عن جوليان مظاهر إلاستقبال فى البلاط الأثيوبى ومراسم استلام الخطاب .

*** يفترض بيورى .

Bury, J.B. : The History of the Later Roman Empire, , New York, 1952 , II, P. 324 N.1.

إن تلك البعثة كانت فى عام ٥٢٤ - ٥٢٥ فى عهد جستين (٥١٨-٥٢٥) استناداً إلى نقش حميرى وجد فى حصن الغراب يبدو أنه يسجل هذه الحوادث حيث يحى ذكرى غزو أكسومى وهزيمة وموت الملك الحميرى .

٢٤ - Nonnosus : Hist. Gr. Min. I. 474-475 .

٢٥ - Nonnosus : Bibliotheca of Photius,3 .

* يذكر فوتيوس أن ننوسوس ربط الرياح الموسمية فى الأراضى العالية لأثيوبيا مع فيضان النيل وكانت حساباته فى ذلك أكثر دقة من أى من الكتاب الكلاسيكيين .

** كان غريباً على بيزنطة هذه التصرفات فقد كانت لا تسمح للعرب بزيارتها إلا فى حدود .

Malchus : Ex Historia Malchi Rhetoris Philadelphensis , Excerpta

De Legationibus Gentium AD Romanos, 1-2 .

٢٦ - Cosmas : II , 140 - 141 .

* يذكر ناشر حديث كوزماس :

Crindle, J.W. : The Christian Topography of Cosmas, An Egyptian Mank, London , 1894 , P.55-56,n.3 .

إن Elesbaan ملك أكسوم هذا ، قد هزم مملكه الحميريين فى تلك الحملة التى ذكرها كوزماس ، هزم (ذو نواس) ملك إليهود الذى أصاب المسيحيين بعذاب رهيب وقد عرف Elesbaan هذا بإسم آخر هو (Caleb) ومجده العرب والإغريق والأثيوبيين وقد ذكر عنه (ننوسوس) وآخرون كذلك ذكر أن إسم الملك فى نسخة الفاتيكان (Ἐλλαιξοβάα) .

٢٧ - انظر : ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ ١ ، ص ٢٥٣ .

ابن هشام : التيجان فى ملوك حمير ، ص ٣١٢ .

السيرة ، جـ ١ ، ص ٣١ .

ابن قتيبه : المعارف ، ص ٦٣٧.

إليعقوبى : تاريخ إليعقوبى ، جـ ١ ، ص ١٩٩.

الأزرقى : أخبار مكةَ ، جـ١ ، ص ١٣٥.

ويلاحظ أن المصادر العربية تؤكد حدوث وتاريخ السفارة الأولى التى كان السفير فيها هو جوليان.

انظر : رأفت عبد الحميد : المرجع السابق ص ١٥٢ .

٢٨ - Procop . Persian War : I, XX,4-13 .

* سنرى بعد ذلك أن هناك عداء قد بدأ بين نجد وحمير بعد تنصيب ملك حميرى من قبل أكسوم .

٢٩ - Cosmas : II, 140-141 .

* كتب كوزماس فى عام ٥٤٧ وذكر أنه كان فى أدوليس منذ خمسة وعشرين عاماً وكانت هناك استعدادت للحملة.

** كان جوليان سفيراً فوق العادة إذا صح هذا التعبير حيث أنه كان من مجموعة الإستخبارات كما نطلق عليها حديثاً ، كان أحد الـ agens in rebus لذلك أرسل ومعه الأخبار الأكيدة بتحرك السفن البيزنطية من الموانىء المذكورة وعلى ذلك بدأ الملك الأثيوبى بالتحرك .

٣٠ - يذكر مخطوط استشهاد الحارث (Acta Sanactae Arethae) .

أن الملك الأكسومى لأجل استعداده للحملة استعد بالسفن التجارية واستعان (أمام جزيرة فرسان) بخمس عشرة سفينة من أيله وعشرين من القلزم وسبع من برنيكى واثنتين من جوتاب وسبع من فرسان نفسها وتسع من الهند

انظر Johnson, A.Ch. : Byzantine Egypt : Economic Studies, London, 1944, P.138

٣١ - يذكر ارثركريستنسن : إيران فى عهد الساسانيين ، ترجمة يحي الخشاب ، بيروت ، ص ١١٦ ، أنه فى عام ٥٢٣ ، حين أراد ملك الحبشة محاربة سكان بلاد الحجاز ، أعد بجانب سبعمائة سفينة شيدها لهذا الغرض ستمائة سفينة رومانية وفارسية .

٣٢ - رأفت عبد الحميد : المرجع السابق ، ص ١٧٥ .

٣٣ - Euseb. Hist. Eccl, V, 16

٣٤ - عن اشتغال إليهود بالتجارة فى تلك الفترة انظر :

Heyd ,W. : Histoire ,.... I, pp.125-8.

٣٥ - Procop. : Persian War, XX,1-2 .

John Malalas : XVIII,433-434 .

Cosmas : II, 140-141.

* وهو الذى أطلق عليه فى المصادر الكلاسيكية إسم .(Ἐσιμιφαίος)

انظر على سبيل المثال : Procop. : I,XX,1

وأطلق عليه فى كثير من المصادر العربية إسم السميفع.

** لأنه بعد فترة استولى حاكم أثيوبى من قبل أكسوم على إليمن وهو الذى تسميه المصادر القديمة Abramus .

انظر على سبيل المثال : Procop. Pers. War : I,XX,13 وأطلقت عليه المصادر العربية إسم (أبرهة)

انظر على سبيل المثال الطبرى : جـ ٢ ، ص ٢ ، ١٢٥ ، ١٢٧ ، ١٣٩ ، ١٤٢، ١٤٤ ، ١٥٤ .

٣٦ - Procop. : Pers. War , I, XX,10.

٣٧ - عن تقسيم وتسمية تلك المناطق فى شمال الجزيرة العربية انظر :

Musil, A. : The Northern Hegaz, A Topographical Itinerary, New Yourk, 1926, App.III;IV,PP .

انظر أيضا :

Al-Wahaibi, A. : The Northern Higaz in the Writings of the Arab Geographers, 800-1150,Riyadh, 1973,P.

Procop . : Persian War, I,X1X,5-7.

* نلاحظ أنه لم يذكر عند أى كاتب تحديداً تجارة الحرير سوى عند بروكوبيوس فى هذا النص

٣٩ - Procop. : Pers. War : I.XX.

* من الممكن أن يكون حديث بروكوبيوس عن السفارة واختلاط الأمر عليه نتيجة أنه (سمع) ذلك من أحد ، لأنه قبل ذلك فى حديثه عن شمال البحر الاحمر ووصفه لخليج العقبة وجزيرة lotabe (تيران) يذكر (ὥσπερ μοι ἐίρηται) عند ذكره أن العبرانيون قد سكنوا الجزيرة منذ أمد بعيد ، ويبدو أنهم كانوا قد سكنوها منذ خروجهم من إليمن وتفرقهم بعد الهجوم الحبشى على ذى نواس الحميرى

** حورانى ص ١٠٢-١٠٣ .

٤٠ - Cosmas : II , 140-141.

٤١ - John Malalas : XVIII.456-59.

لكن يضيف مالالاس أنه (السفير) طلب إلى الأحباش أن ياتوا بالسلع عبر أراضى حمير التى يحكمونها

٤٢ - Shahid, I . : Byzantium in South Arabia, P.25.

٤٣ - رأفت عبد الحميد : بيزنطة ...، ص ١٥٩ .

* Martyrdom of st. Arethas (انظر حورانى ص ٩٦) .

٤٤ - تعددت الروايات فى المصادر العربية :

ويذكر كلاً من : ابن هشام ، التيجان فى ملوك حمير، ص ٣١٢ .

ابن قتيبة : المعارف ، ص ٦٣٧ .

إليعقوبى : تاريخ إليعقوبى ، جـ ١ ، ص ١٩٩ إن اسمه دوس بن ثعلبان واستنجد بملك الحبشة والبعض الآخر يذكر أنه ذهب إلى الإمبراطور البيزنطى انظر :

ابن هشام : السيرة جـ١ ، ص ٣١ .

ابن الأثير : الكامل فى التاريخ جـ١ ، ص ٢٥٣ .

أما الطبرى : جـ ٢ ، ص ١٠٦ فيورد الروايتين .

الأزرقى فى أخبار مكة جـ ١ ، ص ١٣٥ . يذكر أن ثعلبان لما ذهب إلى القسطنطينية أرسلها الإمبراطور إلى الإسكندرية وهى الرواية التى تتفق مع مخطوطة استشهاد الحارث .

٤٥ - Procop : Persian War , I,XX,9.

ومن المحتمل أن التنظيم المحكم لنفوذ التجار الفرس فى أسواق سيلان جعلت مساعى جستنيان وأصدقاؤه الأثيوبيون لإنهاء احتكار الفرس للحرير تبوء بالفشل .

انظر : Bury, J.B. : L.R. E. , II , P. 330

٤٦ - Ammianus Marcellinus : Res Gestae : XX,6,7.

وكان عرب البحرين قد عبروا الخليج قبل ذلك عام ٣١٠ واعتدوا على غرب الدولة الفارسية ، وكان عبور سابور وحملته عليهم لتأديبهم حتى أنه دعى بعد هذه الحملة بسابور ذو الأكتاف لأنه - كما يقال - نقب أكتاف الأسرى لربطهم ببعضهم عند أسرهم فى تلك الحملة .

٤٧ - فى سفارة ثيوفيلوس خلال القرن الرابع إلى حمير ، يذكر فوتيوس نقلاً عن فيلوستورجيوس

Philostorgius : The Ecclesiastical History, III,4,as Epitomised by photius, Patriarch of Constantinopolite .

إن ثيوفيلولس نجح فى بناء كنيسة ثالثة فى (السوق الخاص بالفرس) .

٤٨ - جواد على ، جـ ٢ ، ص ٦٣٢ .

وعن تواجد الساسان فى حمير .

انظر Cosmas : X1,337-9

Vasiliev A.A. : History of the Byzantine Empire , (324-1453), London, 1984 P. 163

انظر أيضا : السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٨٨ .

ويذكر Runciman, S.: Byz. Civil. PP - 164- 5

أن الحروب بين جستينان والفرس أوقفت ورود الحرير الذى كان التجار الفرس يحملونه فى الخليج العربى أو خلال أرض فارس إلى محطتى تجارة الإمبراطوريتين عند (نصيبين) فى فارس (ودورا) فى الإمبراطورية البيزنطية ، ومن ثم ينقل ليصنع فى المصانع الموجودة فى صور وبيروت ولم تؤدى محاولته لإبقاء سعره منخفضاً إلا إلى نتيجة واحدة وهى ركود صناعة الحرير فاشترت الدولة المصانع وتحولت تلك الصناعة - بطريقة عرضية - إلى احتكار إمبراطورى .

ويذكر بروكوبيوس Procop.H.A.,XXV ,13

أن الديبلوماسية البيزنطية حاولت إختراق الحصار الفارسى لتجارة الحرير وذلك بمحاولة

الإلتفاف حول مناطق السيادة الفارسية شمالاً للوصول إلى الحرير الصينى وذلك بأن تتصل بالأتراك فى إقليم ما وراء النهر بعد ما استطاعوا توحيد آسيا الوسطى تحت سلطانهم ولكن هذا العمل كان فوق طاقة الدبلوماسية الإمبراطورية .

انظر :

Divarnik, F. : Origins of Intelligance Services, New Jersey, 1974, P.168

٤٩ - Bury, J.B. : History of the Later Roman Empire, II, New York , 1952, P. 330-32.

٥٠ - Procop. : Persian War, I,XX,9 .

رأفت عبد الحميد : بيزنطة ..... ، ص ١٧٨ - ١٧٩ .

٥١ - آرثر كريستنسن : آيران فى عهد الساسانيين ، ص ٣٥٧ .

٥٢ - Procop. : Pers. War, I,XX,11-12 .

٥٣ - Kowar : Byzantium and Kinda p.61

انظر : رأفت عبد الحميد : بيزنطة ... ، ص ١٧٩ .

جواد على : جـ ٣ ، ص ٤٧٢ - ٤٧٣ .

Bury, J.B. : LRE . II p 325.

٥٤ - Procop. : Pers. War, I, XX,10 .

٥٥ - Theophanes : Chronog. AM 6064 .

٥٦ - عن حروب جستنيان انظر :

السيد الباز العرينى : الدولة البيزنطية ، ص ٦٧-٧٨ .

٥٧ - آرثر كريستنسن : إيران ..... ، ص ٣٤٨ - ٣٥٧ .

٥٨ - رأفت عبد الحميد : بيزنطة .... ، ص ٩٢ ، ١٥٤ ، ١٥٥ -١٥٨، ١٧٢-١٧٣ .

* انظر حاشية (٤٦) .

٥٩ - انظر Malchus : Ex Historia Malchi....., 1-2

٦٠ - Procop. : Pers. War. I.XX,13 .

٦١ - رأفت عبد الحميد : بيزنطة ... ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

٦٢ - كانت العملة الفارسية تسك من الفضة ، لذلك حرص الفرس على العملة البيزنطية الذهبية .

انظر :

Chirsman, R. : Iran From the Earlist time to the Islamic Coquest , Benguin Books , Paris, 1954, P 341.

أيضا : رأفت عبد الحميد : ص ١٧٠ .

٦٣ - رأفت عبد الحميد : ص ١٨٠ .

٦٤ - Procop. : Gothic War , IV.17 .

Procop. : Pers. War , I , 20 , 13 .

John Malalas : XVIII,456-454 .

٦٥ - حورانى ، ص ١٠٢-١٠٣ .

Theophanes : Chronographia, AM 6055 .